IJHER International Journal of Humanities and Educational Research
ISSN: 2757-5403
Volume 5, Issue 3, June 2023

Received: 16/04/2023 **Accepted:** 08/05/2023 **Published:** 01/06/2023

WOMEN'S RIGHTS AND THEIR PLACE WITHIN THE FAMILY AND SOCIETY IN THE TOUAT REGION IN SOUTHERN ALGERIA THROUGH THE NAWAZEL OF AL-JANTOURI IN THE 12TH CENTURY AH AND THE 18TH CENTURY AD

Nadjla SAKOUANE [1]
Dr, University Ahmed Draia of Adrar, Algeria

Abstract:

This study will address the definition of the calamities of the genturi in the area of Touat and determine their scientific value by describing the scientific movement in this region in its various stages with highlighting the era in which the calamities appeared, followed by a study of the characteristics of the calamities of the genturi and then we will know the genetori calamities and its calamities by focusing on highlighting the scientific value of these calamities. Then we will devote an aspect to discussing the role of calamities in showing the rights and status of women within the family and society.

Key Words: Tuat; Algerian South; Manuscript; “Nawazel Al-Ganturi”; Society; Family; Woman.

http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.20.24

[1] nadjla.sakouane@gmail.com

حقوق المرأة ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع في منطقة توات بالجنوب الجزائري من خلال "نوازل الجنتوري" الفقهية في القرن 12 هـ/18م

نجلاء سقوان

د، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر

الملخص:

ستتطرق هذه الدراسة الى التعريف بنوازل الجنتوري في منطقة توات وتحديد قيمتها العلمية من خلال وصف الحركة العلمية في هذه المنطقة في مراحلها المختلفة مع إبراز العهد الذي ظهرت فيه النوازل، مع اتباع ذلك ببحث خصائص نوازل الجنتوري ثم سنعرف بالجنتوري وبنوازله من خلال التركيز على إبراز القيمة العلمية لهذه النوازل. ثم سنخصص جانباً لبحث دور النوازل التواتية في إظهار حقوق ومكانة المرأة داخل الأسرة والمجتمع التواتي.

الكلمات المفتاحية: توات، الجنوب الجزائري، المخطوطات، نوازل الجنتوري، الأسرة، المجتمع، المرأة.

المقدمة:

تشتهر منطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري بكثرة المخطوطات وتنوعها، حيث هناك أزيد من سبعين خزانة خاصة، تضم آلاف المخطوطات في فنون شتى، ومن بين هذه المخطوطات نجد كتب النوازل الفقهية التي تعود للقرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي (12هـ/18م)، أشهرها "نوازل الجنتوري" للشيخ عبد الرحمان بن ابراهيم الجنتوري.

وبعيداً عن أهميتها الفقهية كونها مصدراً للفتوى في توات خلال القرن 12هـ/18م هي أيضا مصدر مهم من مصادر التاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، كونها تتناول أحداث واقعية، رفِعت للقضاء للفصل فيها، وليست أحداث خيالية؛ ومن بين الجوانب التي تناولتها في التاريخ الاجتماعي نجد الحياة الأسرية، من: زواج وما يرتبط به من عادات وتقاليد، وطلاق وما يرتبط به أيضاً، وتربية الأبناء، والميراث، وطبعاً نستشف من خلال كل ذلك حقوق المرأة كونها المحور الأساسي في الأسرة ومكانتها في المجتمع. وعليه حددنا موضوع بحثنا بـ : " حقوق المرأة ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع في منطقة توات بالجنوب الجزائري من خلال "نوازل الجنتوري" الفقهية في القرن 12هـ/18م".

أما حدود الدراسة الزمنية فهي القرن 12هـ/18م، وهي الفترة التي كتبت فيها"نوازل الجنتوري"، وقد حددنا إشكالية البحث كما يلي: ما هي أبرز ملامح الحياة الأسرية والاجتماعية في توات القرن 12هـ/18م من خلال ما تضمنته "نوازل الجنتوري" ؟ وتندرج تحتها بعض الإشكالات الفرعية منها: ما هي أهمية نوازل الجنتوري وقيمتها بالنسبة لدراسة التاريخ الاجتماعي؟ وما هي أبرز ملامح الحياة الأسرية من خلال هاته النوازل؟ وكيف صورت لنا المرأة التواتية؟

ويستمد الموضوع أهميته من أهمية دراسة التاريخ الاجتماعي، خاصة الحياة الأسرية وتاريخ المرأة، كون البحث في هذه المواضيع يعطينا فكرة عن مجتمعاتنا وكيف واجهت الكثير من المشاكل و التطورات، وكيف كانت العلاقة بين الدين و المجتمع في تلك الفترة، وتكمن أهمية الموضوع أيضاً في أهمية مصادره (النوازل الفقهية)، ولهذا اهتم المستشرقون كثيراً، وركزوا عليها في دراساتهم وأبحاثهم.

و مما نهدف إليه من خلال هذا الموضوع تشجيع الباحثين والدارسين على تناول التراث الوطني المخطوط في أبحاثهم التاريخية وخاصة كتب النوازل، وعدم الاكتفاء بالمصادر التقليدية المعروفة، كما نهدف إلى تشجيع البحث في تاريخ المرأة ودورها الحضاري داخل إقليم توات بالجنوب الجزائري، كونه مجالاً خصباً وتوجهاً معاصراً للدراسات التاريخية.

1-التعرف بإقليم توات: توات منطقة تقع حالياً بالجنوب الغربي للجزائر وهي تتشكل من ولاية أدرار وجزء من ولاية تمنراست اختلف المؤرخون في أصل التسمية (توات)، وتاريخ اختطاطها، بل وحتى في رسم حدودها، فهناك من اعتبر أن "السبب في تسمية هذا الإقليم بتوات على ما يحكى أنه لما استفتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب القديم، ووصل ساحله، ثم عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة، (بلبالي، 2016) وصلت خيله توات، ودخلها بتاريخ 62هـ، فسألهم عن هذه البلاد –يعني توات-، وعن ما يسمع ويفشي عنها من الضعف، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب؟، فأجابوه بأنها تواتي، فاطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير الفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف" وهو رأي انفرد به العالم محمد ابن عومر، وقد أورد رواية أخرى لأصل تلك التسمية و الرواية الذي أسهب في تفسيرها وشرحها الشيخ سيد بكري حيث يقول:" في سنة 518هـ حيث غلب المهدي الشيعي سلطان الموحدين على المغرب .بعث قائدَيه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات، فعُرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات، لأن السلطان قبله منه في المغرم"، وقد علق البكري على هذه الرواية فقال ":وهذه الرواية أصحّ ولهذا اللفظ مسند في

العربية. قال في المصباح:" التوت هو الفاكهة والجمع أتوات"، فعرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه...فصار توات بعد حذف التعريف والمضاف...وصار هذا الاسم على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزه إلى عين صالح". (دباغ)

وهذا التفسير اعتمده كثير من المؤرخين، واعتُبر الرأي الأرجح في المسألة. والمؤكد في كل هذا أن منطقة توات ضاربة في أعماق التاريخ "ويرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام، وكانت تسمى بالصحراء القبلية، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر قير في غضون القرن الرابع الهجري". ولا أدل على ذلك من كثرة الحديث عنها في كتب المؤرخين والرحالة كابن حوقل والحسن الوزان والكرخي واليعقوبي وابن بطوطة وابن خلدون والعياشي و السعدي وغيرهم. (المغيلي، 2011)

2-تعريف النوازل الفقهية:

أ-النوازل في اللغة :مفردها نازلة، والنازلة اسم فاعل من نزل ينزل إذا حلَّ . وقد أصبح اسماً على الشدة من شدائد الدهر، فهي المصيبة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس .ويقال نزل بهم نزولاً إذا حل، قال الشاعر:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بها الفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ الله مِنها المَخْرَجُ

قال ابن فارس: "النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه...من ذلك: القنوت في النوازل، يعني: الشدائد التي تحل بالمسلمين، ويقال: نزل بهم أمر. (الحسين)

ب-النوازل في الاصطلاح: لم يتطرق العلماء السابقون إلى تعريف " النازلة " وإعطائها وصفاً دقيقاً، بل تمّ ذكرها بدون تفصيل نقيض العلماء المتأخرين الذين اهتموا بتعريفها، فقد عرّفها العلامة ابن عابدين بأنها: "الفتوى والواقعات وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون لما سئلوا عن ذلك، ولم يجدوا فيها رواية عن أهل المذهب المتقدّمين"، وعرّفها من العلماء المعاصرين الدكتور وهبة الزحيلي بأنها: "المسائل أو المستجدّات الطّارئة على المجتمع بسبب توسع الأعمال، وتعقّدْ المعاملات، والتي لا يوجد نص تشريعي مباشر، أو اجتهاد فقهي سابق ينطبق عليها، وصورها متعددة، ومتجددة، ومختلفة بين البلدان أو الأقاليم، لاختلاف العادات والأعراف المحلية". وعرفت في (معجم لغة الفقهاء) بأنها:(المصيبة التي ليست بفعل فاعل، وهي الحادثة التي تحتاج لحكم شرعي)، والنوازل بهذا المعنى تشمل جميع الحوادث التي تحتاج لفتوى تبينها سواء أكانت هذه الحوادث متكررة أم نادرة الحدوث، وسواء أكانت قديمة أم مستجدة. (الحسين)

وتسمى النوازل في اصطلاح المالكية بأنها:" القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقًا للفقه الإسلامي". أو أنها:" الأسئلة والأجوبة، والفتاوى"، ومن الكتب التي صنفتْ باسم النوازل، نجد :(نوازل ابن رشد)، و(الاعلام بنوازل الاحكام)، لابن سهل الغرناطي، و(مذاهب الحكام في نوازل الأحكام)، للقاضي عياض وولده محمد، فيكون تعريف فقه النوازل بناء على ما سبق:" معرفة الحوادث التي تحتاج إلى حكم شرعي"، وهي بهذا المعنى تخص كل القضايا التي تنزل بالمسلم وتحتاج إلى فتوى تبينها وتظهر في شكل أسئلة موجّهة إلى العلماء فيجيبون عليها، ومن سنن الكون ومستجدات التطور أن تواجه الإنسان أحدَاث تتطلب حلولاً منطقية تحفظ الحقوق وتصون المصالح وتريح الضمائر، وكان على السلف الصالح التصدي لما استُجد من مشاكل، مُشكلين بذلك ثروة فقهية مهمة، سايرت تطور المجتمع الاسلامي،

ويحدد لنا الشيخ الزجلاوي معنى المسائل بأنها الأجوبة عندما قال:"وبعد فهذه مسائل في الفقه وفق الله لجمعها من أجوبة والدنا رحمه الله"ويورد محمد بن عبد الرحمن التنلاني في النوازل بمعنى الأجوبة حيث يقول:"...لما وقفت على أجوبة محققة النقول مهذبة الفصول لبعض فقهاء بلادنا". (جرادي، 2011-2010)

3-التعريف بنوازل الجنتوري: ارتبطت شهرة الشيخ الجنتوري بالنوازل الفقهية التي ألّفها، والتي جمعها ورتبها تلميذه القاضي محمد بن أحمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري، نزولاً عند رغبة بعض الإخوان، جاعِلاً كلّ مسائل منها على حدتها، فقام بذلك مقدّما باب الشهادات والقضاء، ثم أبواب البيوع و ما شابهها. ثم أبواب الأنكحة، ثم مسائل الأحباس ...وسمّاها: (النسرين الفائح النسيم في بعض فتاوى أبي زيد عبد الرحمن بن إبراهيم)، والكتاب يتضمن أجوبة الفقيه المذكور ومراسلاته العلمية وآراءه الفقهية، مدعّمة بالأدلة من مصادر الفقه المالكي، وقلّما تخلو الفتوى من الإشارة إلى ذلك المذهب. (بوسعيد، 2011/2012)

4-أهمية نوازل الجنتوري: ممّا يميّز الفقه المالكي حسن التعامل مع المستجدّات والنوازل وتقليب النظر فيها، وتحكيم الشرع عن طريق استعمال أدوات الاجتهاد التي تجعل الشريعة مرنة تواكب التطورات والمتغيرات .وتلك التطورات سمةٌ ظاهرة في البيئة التواتية، فقد جاءت نوازل الجنتوري لتضع حلاّ للمنازعات الناشئة بين الأفراد المتعلقة بالمستجدّات الاجتماعية والاقتصادية والفقهية، وتُسهِم في تنشيط الحياة العلمية والثقافية بالمنطقة، وتعبّر بصدق ووضوح عن واقع الحياة اليومية في المجتمع التواتي.

وقد دعّم الشيخ الجنتوري نوازله بإشارات لطيفة إلى نوازل سابقة مثل : فتاوى ابن أبي زيد القيرواني(ت 386 هـ/ 996م) وفتاوى اللخمي (ت 478 هـ 1085م) وفتاوى ابن رشد (ت 520 هـ / 1126م) وفتاوى المازري (ت 536 هـ 1142م) ونوازل العبدوسي (ت849هـ 1445م) ونوازل الجزولي (ت 932 هـ 1526م) والدرر المكنونة في نوازل مازونة للمازوني يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي (ت883 هـ 1478م) ونوازل ابن هلال (ت 903 هـ 1498م) والمعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي(ت 914 هـ 1508 / م)، ممّا أضفى عليها جانباً كبيراً من القبول لدى العام والخاص (صديق، 2011).

وكان الشيخ الجنتوري لا يقف موقفاً متحجّراً من النصوص، بل يُخضعها إلى النازلة وينظر مدى اشتمالها على شرط ذلك النص وعلّته، فهو القائل " ولا ينبغي للمفتي الوقوف مع النصوص، فلا بدّ أن ينظر في النازلة وهل اشتملت على شرط ذلك النص وعلّته أم لا، وهل انتفى مانعه أم لا، إذْ لكل شرط نص وسبب ومانع، وكل نازلة كذلك، فإذا وُجدت في النازلة شروط النص وأسبابه وانتفت موانعه كان الحكم بذلك على بصيرة، وإلاّ كان كالخابط عشواء، فهذه النوازل بحق فضلاً عن كونها نموذجا فقهياً يُساير شؤون الفقه والعبادة. مرآة عاكسة للأوضاع الاجتماعية السائدة خلال القرن 12هـ، وصورة صادقة معبّرة عن الجوانب الثقافية للمنطقة وانعكاساتها البينية، وعلاقاتها العلمية مع الحواضر الأخرى في الشمال والجنوب ومدى التأثيرات المتبادلة فيما بينها. (الجنتوري)

ومن المفيد أنْ أنقلَ شهادة جامع هذه النوازل محمد بن أحمد بن عبد العزيز المسعدي، فهو الذي طاف في جوانبها واستقرأ عناصرها واستنطق مكنوناتها، إذ يقول: **(**وله فتاوى على الأسئلة لا تعدّ ولا تحصى، ولو استقصى ذلك

ليأتي أكثر من نوازل المعيار (نوازل الونشريسي). وفيها تحقيق وبيان ولا يكاد القاضي والمفتي يستغني عنها، ولا يجحد العلم الذي فيها إلا حاسد أو جهول، لِما فيها من البيان والتحقيق والتدقيق والاقتصار على المشهور والترجيح وما به الفتوى". (شترة)

5- حقوق ومكانة المرأة التواتية في الأسرة والمجتمع من خلال نوازل الجنتوري الفقهية:

أ-حقوق المرأة التواتية: المرأة التواتية لم تكن بِدعاً من النساء، فقد حازت نصيباً وافراً من أهمّ الحقوق والحريات كحقّ الملكية والهِبة والتحبيس، وحقّ العمل والسعي، وحقّ المعاملة بالحسنى والإرث وحرية الرأي والتصرّف في الأموال وطلب العلم والمعرفة والاستفتاء وغيرها من الحريات، وفرضت نفسها وأثبتت قوتها وجدارتها.

ورغم غياب المرأة الجزائرية عن مسرح الأحداث خلال العهد العثماني عموماً، وانحسار دورها وتأثيرها في القرن 12هـ، إلاّ أنّ المرأة التواتية صنعت بعض الاستثناء، ومماّ يدلّ على ذلك الإشارات العديدة الواردة في النوازل . إذ توحي بسعي المرأة واشتغالها في وظائف وحِرَف متعددة منها الفلاحة والغزل والنسيج. (بوسعيد، 2011/2012)

كما أنها لم تكن عديمة اليد، فقد امتلكت الأموال وصرفتها وتصّرفت فيها بكامل حريتها بيعاً وشراءً، والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة في النوازل، منها: "أن المرأة كانت لها أموال في ذمة زوجها، فاقترحت عليه أن تشتري منه جناناً في مقابل التنازل عن تلك الأموال"، ومنها أيضاً:"أن امرأة باعت أصولاً لمقدم على الأيتام، بعد أن قامت بعزل مقدم آخر"، ومنها كذلك:"أن إحدى النساء كانت توكل أخاها على بيع بعض أملاكها لإخوانها الآخرين...الخ"، وكان لها حظّ من العلم يمكّنها من معرفة نصيبها من الأملاك الخاصة بها، وما يرتبط بأحكام وجودها داخل البيت بِحكم أن المرأة كانت تدخل على زوجها بشيءٍ من ذلك . وكانت تلك الأملاك الخاصة بالزوجة محل جدل وخلاف في بعض الأحيان، حيث ورد في النوازل:"أن رجلاً تنازع مع زوجته في بهائم لها كان يخدم عليها، فقال لها: إن له الربع لخدمته، وقالت الزوجة: لا شيء لك عندي، وما آتيناك إلا لتخدم علي وعلى بهائمي، وقد كنت تشرب لبنها وتأكل سمنها، وقد أفتى الشيخ الجنتوري على إثرها بأنه:"لا شيء للزوج في بهائم الزوجة". (الإدريسي، 2010)

ومن الحقوق التي اكتسبتها المرأة التواتية خلال تلك الفترة، وكانت مدعاةً لحفظ بقية الحقوق، فسَعَت إلى ممارستها والمحافظة عليها، الحقّ في التظ لّم والتقاضي دون وَجَلٍ أو إذعان لسلطة الرجل المتنامية في المجتمعات البدوية المحافظة، إذْ كان صوتها مسموعاً وحقّها مُصاناً . (بكري، 2010)

ورغم ندرة الحالات الباعِثة على الجزم بتعلّم المرأة التواتية وتفقّهها في الدين، أو الدّالة على تبوئها مكانة علمية هامة في المجتمع، إضافة إلى احتفاظ النساء بالرسوم والوثائق، تشير المصادر المحلية إلى وجود نماذج للمرأة المتعلمة الفقهية، ذات الشأن والصيب خلال القرن 12 هـ، على غرار "العارفة بالله السيدة فاطمة زوجة العباس بن الحاج إبراهيم"، فقد عرفت بالفقه والصلاح والكرامات، واشتملت النوازل على نماذج لقضايا وشكاوى كانت المرأة محورها وأساسها.

ممّا يؤكّد حرصها على التعلّم والتفقّه، فاجتهد العلماء والفقهاء في حلها وتبيان أحكامها، ومن أمثلة تلك القضايا المتعلقة بالمرأة والواردة في النوازل قضية "فاطمة بنت علي ابن هنان" وبيعها لدارها، وقضية السيدة "لالة صفية "وما أدعاه خصومها، ومسألة "زوجة مولاي عبد المالك" والمال الذي كان لها ببلد تمنطيط وغيرها. (فرج، 1977)

ب- مكانة المرأة التواتية في الأسرة:

المرأة عِماد الأسرة التواتية وأساسها، وعلاقتها بالرجل تبدأ بعد الزواج، لكنْ هناك من النساء مَن كانت تشترط على مَن خطبها شروطاً وحوائج (أشياء) معينة مقابل الزواج به .ممّا يؤكّد وجود هامش كبير للحرية في القبول بالخاطب، ينفي تلك الصورة النمطية العالقة في الأذهان عن المرأة التواتية الصحراوية، والتي جعلتْها رمزاً للقهر والخنوع .وحتى بعد زواجها كانت المرأة تُساير الأعراف في ما يتعلّق بخدمة الزوج وحدودها، بلْ إنّ بعض النساء من ذوات اليسار كنّ السبّاقات في فعل الخير، من خلال صِلة الأزواج بالهدايا والأعطية أو حتى التصدّق عليهم.(Saffroy)

والشائع أيضاً أنّ بعض الأزواج كانوا يستغلّون أموال زوجاتهم في التجارة أو الرعي، وينفقون على أولادهم ممّا اكتسبوه من وراء ذلك الاستغلال . لذلك لجأت بعض النسوة إلى مقايضة تلك الديون المترتبة لهنّ على أزواجهنّ ببعض الجنان (البساتين)، غير أنهن كنّ يُلاقين بعض الصعاب في سبيل استرداد تلك الأموال أو ما يقابلها من أملاك، سواء من قِبل الأزواج أو الورثة بعد وفاة الأزواج.) بوسعيد(2012/2011 ,

وفي الجانب الآخر من الأسرة، كان الرجل التواتي حريصاً على معاشرة الزوجة بالمعروف، وبناء أسرة متماسكة، يسودها التعاون والمودّة ويتوصّلُ فيها جميع الأفراد إلى حقوقهم . فقد جاء في النوازل ما يدلّ على تلك المودّة ويؤكّد غلبة الحوار والتفاهم بين الزوجين، ومعاملة الزوج لزوجته بالحُسنى، ومنها أنّ بعض الأزواج كان يُحلّي زوجته بالقلائد والحُلي هبةً أو إمتاعاً . وقد جرت الأعراف حينها ببعضٍ ممّا يوطّد تلك العلاقات الأسرية حيث كان الأزواج يحرصون على إعطاء الزوجات أحواضاً من القمح أو الشعير عند موسم الحصاد ومكاييل من التمر بعد الجني في الخريف، ومنهم من كان يُلبّي طلب زوجته حين تطلب أملاكاً بعينها، ومنهم من كان يحمّلها مسؤولية التصرّف في الأموال والتسيير المادي للأسرة، بأن يتركَ مفاتحه بيدها ويُطْلِقَها على جميع أمواله. كما كانت المرأة تجدُ العون والدّعم من زوجها أثناء الخلافات التي قد تنشب بينها وبين إخوتها بسبب ما يرتبط بالأحباس أو المواريث أو غيرها .(Saffroy)

وقد وسّعت المرأة التواتية من علاقاتها الأسرية، ودعّمت وجودها مرتبطة بأبنائها وإخوتها وغيرهم من الأصول والفروع، وساهمت في ترقية تلك المكانة من خلال ما كانت تقوم به من رعايةٍ للأسرة أثناء غياب الزوج أو سفره، وحرصٍ على مصالح الأبناء الأيتام، بل إن بعض النساء كنّ يتنازلن عن جميع ثُمنهن ويهَبْنَه لورثة أزواجهنّ وَصْلاً للأرحام وإمعاناً في المودّة . وفضلاً عن إكرام المرأة لأبنائها الذكور وإخوتها بالهدايا والهبات، فإنها كانت تُحيط بناتها دون البنين بعناية خاصة من خلال الصدقات والهبات.(Saffroy)

6-المرأة وأهمّ المشاكل الأسرية:

رغم ما تبيّن لنا سابقاً من دورٍ هام للمرأة التواتية في محيطِ بيتها وبين ظهراني أفرادِ عائلتها، إلاّ أنها كانت في كثير من الأحيان طرفاً في بعض المشاكل الأسرية، التي يمكن حصر أهمّ أسبابها فيما يلي:

أ – الخلافات الزوجية : تحتوي النوازل على نماذج عديدة لهذا النوع من الخلافات، حيث يتسبّب فيها أحد الزوجين لعِلّة معينة، وكثيراً ما ينتهي بهما الأمر إلى الاحتكام عند القاضي، أو طرح المشكلة عند أحد الفقهاء لتبيان وجهها الشرعي .وممّا ساد من تلك النزاعات الأسرية، الاختلاف حول زيارة المرأة لقرابتها من غير أبويها دون علم زوجها، وعدد تلك الزيارات ومواعيدها، مما كان يزيد غالباً في عناد المرأة وتحدّيها أوامر زوجها. ومنها الخلافات الناشئة بسبب استغلال الرجل أملاك زوجته والتصرف فيها بحرية مطلقة، ممّا كان يؤدّي في بعض الأحيان إلى تحفّظ الزوجة أو حتى إخوانها أو وارثها بعد موتها، أو العكس وهو قيام بعض الأزواج على نسائهم ومحاسبتهم إياهنّ فيما اكتسبن من الأموال بعد الزواج، خاصة إنْ كنّ قد اشتهرن بالفقر من قبل . (vivarer, 1986)

وقد يحدث الخلاف بين الزوجين بسبب وجود أَمَةٍ خادمة للزوجة، وهَبَها لها أبوها في حياته، لكنّ الزوج يصرّ بعد ذلك على بيع تلك الأَمَة، خوفاً من أن يؤدي وجودها في البيت إلى انحراف أبنائه .

أو أنْ تهبَ الزوجة لزوجها مِن نَفيس مالها وما غَلاَ من أملاكها قصد دوام العِشرة بينهما، وتشترط عليه مقابل ذلك ألاّ يطلّقها، لكنّ الزوج يطّلقها لاحقاً .وقد يحدث أن يكون الخلاف بين المرأة وطليقها حول أمرٍ معيّن، ويستلزم ذلك أخذ اليمين منها، وكلّ منهما يقطن في قصر، فيُبعَث إلى المرأة من تؤدّي إليه اليمين الواجبة عليها حيثُ هي في قصرها وفي بيتها.

ومِن الخلافات الغريبة نادرة الحدوث، ما جاء في إحدى النوازل من أنّ رجلاً تزوّج امرأة على أنها حرّة، لاشتهارها بذلك هي وأمّها، وبعد سنين من الزواج تركت أولادها، ثمّ قام رجل مدّعياً عليها وأثبتَ رقها ورقّ أمّها، فاحتار الرجل الزوج في ذلك وطلب الفتوى الشرعية.(vivarer, 1986)

ب – مشاكل الميراث : يُعتبر هذا النوع من المشاكل هو الغالب في القضايا المطروحة على القضاة والفقهاء والمفتين خلال تلك الفترة، ويتعدّى حدود الأسرة ليشمل العائلة كلّها . وكثيراً ما كانت المرأة طرفاً فاعلا فيه، إمّا متعديّة أو متعدّى عليها، ممّا يؤكّد استيفاء النساء في توات حقوقهن من الإرث كاملة غير منقوصة، على عكس ما روّجت له الأمثال وأصبح عليه الحال، غداةَ احتلال فرنسا للجزائر ومن ثَمّ إقليم توات، وسياستها الاستعمارية المنتهجة في المجال الاجتماعي. (المؤمن، 2006-2005)

والثابت حينئذ أن المرأة لم تكن لِترضى بأن يُسلبَ منها جزءٌ من الميراث، فضلاً على رضاها بحرمانها منه كاملاً . لذا ظهرت من خلال النوازل بعض الخلافات بينها وبين ورثة زوجها بصفة خاصة، حول ما تركه الزوج، أو حول ما ظهَر عليها من غِنى أعْقَبَ فقراً طيلة مدّة الزوجية .

ورغم أن العادة جرَتْ في توات على هِبة المرأة لأخيها بعضاً من ميراثها، فإنّ ذلك لم يكن يتمّ على ما يبدو إلاّ بموافقتها ورضاها، عربوناً للمودّة وتوطيداً للأخوّة، إذ يحدث أن تقوم على إخوانها جميعهم، مدّعية عليهم وعلى من يشتري منهم، حين تشعر بأنها لم تُوف نصيبها من الإرث كاملاً . (بوسعيد، 2011/2012)

7-دور المرأة في المجتمع التواتي:

الأسرة أساس المجتمع التواتي، وبناء على ما كان للمرأة فيها من نفوذ ومكانة، فقد تبوّأت من خلالهما دوراً ريادياً لا يقلّ شأناً عن دور الرجل في مجتمعٍ يُشاع عنه أنه تقليدي محافظ .ويمكن تلمّس مظاهره في المجالات الاجتماعية المختلفة التي أثبتت فيها وجودها من تعاون وتضامن وهِبات ورعاية اجتماعية ... الخ، ممّا أدّى إلى اعتراف المجتمع بفضل المرأة وتقدير مكانتها حقّ قدْرها.

ونظراً لأن النشاط الغالب على المنطقة هو الفلاحة والرعي، فقد ساهمت المرأة فيهما تملّكاً وممارسة ومثّلت الجنان (البساتين) رأسَ المال عند المرأة، ذات القيمة الثابتة والمنفعة الدائمة وأوردت النوازل أيضاً نماذج لنساء يمتهنّ الحِراثة والسقي كما الرجال، وأخريات لهنّ نصيب من الماء في الفقارة .ومنها كذلك أن بعض النساء كنّ يقُمنَ على ما يمتلكن من رؤوس الأغنام بأنفسهن، أو يكلّفن أزواجهنّ بالخدمة عليها، مقابل الاستفادة من لبنها وسمنها. (DAUMAS, 1845)

وفضلاً عن اقتحام المرأة التواتية مجال الأرض وخدمتها، والمياه وما ينتج عن تملّكها من كراءٍ أو بيع وشراء، فقد اختصّت بعض النساء بأعمالٍ وحِرف يدوية داخل البيت، مثل الغزل والنسيج، حيث يُساهمن في توفير الملابس الصوفية والقطنية لأفراد العائلة، وبِيعْ نَ الفائض من الإنتاج للقصور المجاورة.(DAUMAS, 1845)

ومن المظاهر الأخرى الدّالة على انخراط المرأة في المجتمع، ومساهماتها الإيجابية في تفعيل نشاطاته، قيام بعض النساء بإخراج الصدقات للفقراء والمساكين، وحرصهن على تحبيس ما يمتلكن في سبيل أوجه الخير تخصيصاً أو تعميماً، ومزاولتهن بعض الأنشطة التجارية، من خلال تصرّفهن في الأملاك الخاصة أو المتعلقة بالإرث بيعاً وشراء، دون الحاجة إلى وسيط تجاري .

وقد احتوت النوازل على ما يقرّ ويؤكّد تزكية الرجال تلك الحظوة للمرأة التواتية ومكانتها، وخاصة الفقهاء والعلماء منهم . حيث شغلت قضايا بعض النساء أفكارهم وقرائحهم ردحاً من الزمن، وكَثُرُ فيها الأخذ والرّد وإمعان النظر بحثاً عن الصواب، فلم يبخسوا المرأة حقوقها، ولم يحطّوا من قدرها شيئاً، على رغم ما ارتبط بطبيعة المرأة من ركونٍ إلى الحشمة والحياء) . بوسعيد(2012/2011 ,

الخاتمة: نستنتج مما سبق:

- شهدَ إقليم توات في العصر الحديث ما يمكن اعتباره نهضة ثقافية علمية حضارية، مكّنته من أن يتبوّأ مكانة مرموقة بين الحواضر والمدن المجاورة له، ساهمت في تفعيلها عوامل موازية، على غرار العامل الاقتصادي التجاري، والعامل الجغرافي الاستراتيجي . وقد تبلورت تلك الحركية بجلاء، وتجسّدت ملامحها وصورها في تنافس ثلّة من الأعلام التواتيين عطاءاً واجتهاداً، وفي وفرة التآليف والتصانيف، التي شملت مختلف الفنون والعلوم، وفي تناثر المدارس والزوايا عبر ربوع وقصور توات.

ويعدّ القرن 12 هـ 18 / م أخصب الفترات والمراحل زخماً وإبداعاً، ومحصّلة طبيعية للظروف السائدة على المستويين المحلي القريب والإقليمي المتفاعِل، حيث تقاطعت خلاله المعطيات والإسهامات في شتى المجالات، وتميّز عن القرون السالفة بتشكّل أنماط اجتماعية وثقافية حديثة داخل المشهد التواتي، وأصبح بحق قرن التجديد في معانيه المتعددة، ممّا كان له الأثر المباشر في انبعاث تلك النهضة العلمية.

-ثراء القرن 12 هـ بسبب التمايز الواضح في الأوضاع السائدة، في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية، وقدرة التواتيين الفائقة على وضع نظام هيكلي إداري خاص بهم، أصبح بديلاً عن مراكز الاستقطاب الإقليمية المجاورة.

-تعدّدتْ القراءات المتعلقة بإشكالية تسمية توات من لدن الدارسين والباحثين، وتباينتْ التفسيرات والآراء المؤصّلة لها، ممّا يدل على تلك المكانة الهامة التي أصبحت تتبوأها.

-يعتبر الشيخ عبد الرحمن الجنتوري (ت 1160 هـ 1747 / م) من العلماء الأشداء الذين انبروا للدفاع عن محارم الدين، وحفظ الحقوق الفردية والجماعية بلسانه وقلمه، مستفيداً من الحركة العلمية والفكرية المنبعثة ومن الشيوخ الأجلاء التواتيين والمغاربة . فكان بحق العالم المصلح المجدّد الصارم، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد شهد له بذلك خصومه قبل أتباعه، وأصبح إثر ذلك المرجع الفقهي الرئيس في توات، ومقصد المظلومين المشتكين من استبداد الولاة وحيف القضاة، دون إغفالٍ للجانب الإبداعي لدى الشيخ، المتمثل في التصانيف المتنوعة نظماً ونثراً، حيث ألّف في التوحيد والفلك والمنطق والتصوف والكلام، بينما طغى الفقه من خلال الفتاوى والنوازل الشهيرة المنسوبة إليه.

- صوّرت لنا نوازل الشيخ الجنتوري جانباً هاماً من العلاقات البينية العائلية، التي تميزت بالاحترام والتقدير المتبادل بين أفرادها، ومظاهر التضامن والتكافل داخل المجتمع، والتي بيّنت بأنّ المصلحة العامة والإفادة الشاملة كانت شعار التواتيين ودَيْدَنهم في جميع المناحي المعيشية . أمّا الأحباس فإنّ دورها تنامى داخل المجتمع، فسادت الأوقاف الخاصة والعامة، وساد بذلك النّفع على الجميع. وتؤكّد النوازل كذلك تلك الصورة التي طالما وُسم بها المجتمع التواتي، وهي أنه مجتمع محافظ أصيل، تؤدي فيه العادات والتقاليد والأعراف دوراً بارزاً، إذْ تستمد سلطتها من سيادة المذهب المالكي بالإقليم التواتي . فأضحت بذلك مصدراً هاماً من مصادر التشريع، رغم أنها- أي العادات -أخذت في بعض الحالات مظاهر سلبية، تمثلت في تفشي بعض الآفات الاجتماعية والمعاملات غير المشروعة وظاهرة التعدي على أملاك الآخرين وغيرها.

وممّا هو جدير بالملاحظة، ما استنتجتُه من خلال النوازل من شؤون المرأة ومكانتها داخل المجتمع التواتي، حيث حظيتْ بحقوقها مثل الرجل، وحرصَ الأعيان والعلماء التواتيون على إيفائها نصيبها من العناية ورفع الغبن، بعدما

فرضت نفسها مكونا فاعلاً لا غنى عنه، يساهم في بناء أسس الأسرة وصرح المجتمع، متجاوزاً العقبات والمشاكل الناشئة بفعل ذلك الدور وتلك المكانة.

Bibliographie

DAUMAS. (1845). *Le Sahara Algérien études Géographique,statistiques et historiques.* Paris: Langlois et Leclercq.

Saffroy, B. (s.d.). *Chronique du Touat.* Ghardaia:C D S: algeria.

vivarer, M. (1986). *Au Sujet du touat.* alger: librairie Michel Ruff.

إبراهيم بلبالي. (12، 2016). نوازل منطقة توات ودورها في خدمة المذهب المالكي "دراسة تطبيقية على نوازل الزجلاوي. *مجلة المنهل، العدد03*، صفحة 74.

الجنتوري, أ .ز .(s.d.). نوازل الجنتوري .*مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد* .قصر باعبد الله تيمي أدرار, الجزائر.

الحسين, ا .ف .(s.d.). .*معجم مقاييس اللغة* .(Vol)ج .(02بيروت, لبنان :دار الفكر للطباعة والنشر.

المغيلي, ا .أ .(2011). .*التاريخ الثقافي لإقليم توات* .(éd)ط .(01الجزائر :منشورات الحبر.

المؤمن, ب .ب .(2006-2005). الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . 85وهران, الجزائر :جامعة وهران.

بكري, ع .ا .(2010). .*النبذة في تاريخ توات وأعلامها* .الجزائر :مطبعة الطباعة العصرية.

بوسعيد, أ .(2012/2011). .*الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري القرن 12هـ 18/م* . الجزائر :جامعة أدرار.

خير الدين شترة. (بلا تاريخ). *القيم الاجتماعية بإقليم توات من خلال أدب النوازل "نوازل عبد الرحمن الجنتوري"* . جامعة مسيلة.

صديق, ا .أ .(2011). .*التاتريخ الثقافي لإقليم توات* .(éd)ط .(02الجزائر, لجزائر :منشورات الحبر بني مسوس.

فرج, ف .م .(1977). .*إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي* .الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية.

محمد جرادي. (2011-2010). *نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق.* قينطينة، الجزائر: جامعة منتوري قسنطينة.

محمد دباغ. (بلا تاريخ). *دراسات في التراث.* وهران، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع.

مولاي أحمد الطاهري الإدريسي. (2010). *نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء والثقات.* الجزائر: دون نشر .